

## تحقيق

جورج شاهين

## 22 تشرين الثاني 2020 أول استقلال بعد المنووية: هل نجحت تجربة "لبنان الكبير" وإستقلال الجمهورية؟

عبر عيد الاستقلال هذا العام بهدوء، فالإغلاق العام لمواجهة جائحة الكورونا معطوفا على الازمة المتعددة الوجه، الغيا كل اشكال الاحتفالات التقليدية. الا ان ما كان لافتا هو تعدد الاسئلة التي تدور في العقول وتختلج في قلوب اللبنانيين بحثا عما يمكن ان يمس تجربة "لبنان الكبير" ومعها مصير الدولة والكيان والجمهورية

لا يستطيع احد ان يلغي او يخفف من الهواجس التي تشكك في قدرة اللبنانيين على بناء الدولة القوية والقادرة التي تحمي ابناءها وتضمن حماية الكيان وتعزز

مستقبل بلادهم وضمان الاستقرار بوجوهه المختلفة. حاولت "الامن العام" كلا من عضو المجلس الدستوري رئيس كرسي الاونيسكو لدراسة الاديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف الدكتور انطوان مسرة وعضو لجنة الحوار الاسلامي - المسيحي محمد السماك، للوقوف على قراءتهما للاستقلال الاول في مئوية لبنان الاولى ومصير الدولة والكيان والجمهورية.

## مسرة: نظامنا الدستوري ثمرة اختبار تاريخي وانتاج عباقرة

هل فشلنا في بناء دولة بمقوماتها الشاملة، وما هي مواصفاتها؟ يتطلب اي شكل من اشكال الانظمة الدستورية وجود دولة مكتملة المواصفات الملكية ومدعومة بدولة الثقافة اللبنانية، وان لا ينحرف اي نظام الى تقسيم مقنع او اقطاعيات وقبائل وامارات. لذلك يطرح موضوع الدولة لبنانيا في نظام برلماني تعددي. اربع معضلات تتطلب بناء نظريا وبرامج تطبيقية اولها: سيادة الدولة، وثانيها ادراك الدولة في علم النفس اللبناني، وثالثها نظرية الدولة لبنانيا كجسر تفاوض، ورابعها دولة الثقافة السياسية اللبنانية من خلال التربية ضمانا لوحدة الدولة وشرعيتها. لذلك، فالدولة في لبنان ليست مكتملة الصفات الاساسية المسماة ملكية (rex, regis, roi) وهي: احتكار القوة المنظمة، احتكار العلاقات الديبلوماسية، فرض الضرائب وجبايتها، ادارة السياسات العامة. يعبر هذا القول ان كل الافرقاء في لبنان لهم ارتباطات خارجية عن خلط في اربعة اشكال في

العلاقات الخارجية: الاحتلال، التدخل الخارجي لصالح فئة سياسية بالمال والسلاح، الدعم من خلال سلطة الدولة، قرارات الشرعية الدولية حيث لبنان عضو مؤسس فيها.

يعتقد البعض ان الطائف لم يحدد آلية لحسم الخلافات، فهل يقتضي ذلك اعادة النظر في صلاحيات رئيس الجمهورية ام ان هناك اسبابا اخرى؟ المادة 49 هي القاعدة الاساس لانتظام النظام الدستوري اللبناني، والا يستحيل انتظام لبنان. فريثس الجمهورية هو الذي يسهر على احترام الدستور. ممارسة الرئيس فؤاد شهاب هي بالذات النهج الاختياري المجسد والمكرس والفاعل الذي يسهر على احترام الدستور. ممارسة الرئيس فؤاد شهاب هي بالذات النهج الاختياري المجسد والمكرس والفاعل الذي يسهر على احترام الدستور. ممارسة الرئيس فؤاد شهاب هي بالذات النهج الاختياري المجسد والمكرس والفاعل الذي يسهر على احترام الدستور.

وليس القوى السياسية ولا حجم واحجام القوى السياسية. ليس للحكومات في اي بلد من العالم صفة تمثيلية بالمعنى الانتخابي. تتضمن اي منظومة دستورية، كما في الجسم البشري، ظواهر صحية وظواهر مرضية. يتم استغلال كل امراض منظومة النظام البرلماني التعددي، وحتى البحث المنظم عن كل الظواهر المرضية في هذه الانظمة لجعل النظام غير قابل للحكم ingouvernable.

ما الذي اعاق ان تبقى المؤسسات فوق الخلافات المناطقية والطائفية وما الخطأ الذي ارتكب؟ هل الحل في اللامركزية ام في صيغة اخرى؟

ابرز العوائق ثقافية ويتوجب معالجتها من خلال مختلف وسائل التنشئة وبخاصة التاريخ والتربية عموما. الدولة في علم النفس اللبناني جسم خارجي! تستمع الى وزير ونائب على شاشات التلفزة يتوجه الى الدولة ويتهم الدولة وكأنه غريب عن المؤسسات العامة. يظهر ذلك من خلال استعمال الناس لكلمة دولة في مختلف الشؤون وحتى اذا خالف موظف بلدية في عيارة المياه. يعاني اللبناني في علم النفس العيادي من انفصام في الشخصية اذ يطالب من جهة بدولة قوية هي بطبيعتها سلطوية، وهو متمسك من جهة اخرى غريزيا بالحريات. لقد انتشرت مفاهيم وصور ذهنية عن الدولة اللبنانية تجنبا للتطرق المباشر الى الجانب الثقافي والنفسي: دولة التسوية Etat du compromis، ودولة الخطيئة الاصلية القائمة على التوازن péché originel، ودولة الانصهار intégration forcée والتي ينتظر منها تذويب المجموعات في قالب واحد، ودولة كبش المحرقة bouc-émissaire التي يحافظ عليها سياسيون وميليشيات لسرقتها، والدولة الرصيف المشرعة الابواب Etat trottoir، ودولة الحد الادنى Etat minimal في بعض الطروحات المسماة اصلاحية، ودولة تعميم نظام اهل الذمة dhimmitude،

الدكتور انطوان مسرة.

”

## تحول الحكومة مجلسا نيابيا مصغرا ينهي مبدأ الفصل بين السلطات

“

والدولة الاحتياط Etat de réserve في تركيب آلية حزبية للحلول مكان الدولة الرسمية عندما تسمح بذلك الظروف او حروب مستوردة.

كيف تكون الدولة اللبنانية جسر تفاوض وايضا سلطة حسم وتقرير؟ يهدف الدستور اللبناني في نصه وروحته، في ما يختص بسياق التقرير حسب المادة 65 من الدستور، الى تجنب طغيان اقلية abus de majorité وطغيان اقلية abus de minorité هذه المادة هي روعة في المخيلة الدستورية من منظور عالمي ومقارن. هذه المادة هي ثمرة عباقرة في الفكر الدستوري، تنحرف عن مضمونها من خلال ايديولوجية وممارسات الثلث،

والتعطيل والحجم والحقية الوزارية الطائفية... وخلف شعارات في الطائفية والميثاقية.

ما هي ضمانات العيش المشترك؟ تتطلب ضمانات العيش المشترك دولة الثقافة السياسية اللبنانية وبرامج تربوية. يوجب ذلك مزيدا من التعمق في تعليم الحقوق وكل الاختصاصات التعليمية، وبخاصة منهجية التاريخ اللبناني، مع اعداد كراسات ثقافية وتربوية حول ابرز القضايا التالية في ما يتعلق بالدولة لبنانيا، منها: ما معنى دولة؟ والدولة في اعلان دولة "لبنان الكبير". ما الذي تغير بعد اعلان الاستقلال في 1943/9/22: سيادة، عملة حكومة وطنية، امن، جمارك، عملة وطنية. تاريخ الدولة في لبنان كما نرويه لاولادنا وحياد لبنان وجذوره التأسيسية انطلاقا من وثيقة البطريك بشاره الراعي وسياسة لبنان الخارجية الرسمية.

باستثناء الحياد والجدل من حوله، هل من صيغة بديلة من دولة لبنان الكبير ام اننا محكومون بها؟ لنخضع الى محكمة فكر عليا انتاج



محمد السماك.

كان على عكس ما كانوا يدعون وما كانوا يتمنون. قال لهم: لا مستقبل لاسرائيل الا اذا اقتدت هي بتجربتنا الناجحة في العيش مع المسلمين في دولة واحدة. نحن الذين يجب ان تقتدي اسرائيل بنا، وليس نحن الذين يجب ان تقتدي بها .

■ على الرغم من ذلك، هناك من يرى ان ركائز لبنان اصيبت بعطل كبير نتيجة التدخلات الخارجية فهل توافقهم؟

□ كما قلت لك لم افاجأ وقتها بموقف الشيخ بيار، كان هو الموقف اللبناني الوطني المشترك. الا ان دخول العناصر الخارجية على خط الاختلافات والصراعات الداخلية (منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا وغيرهما..) والتعاطف الاسلامي مع القضية الفلسطينية الذي ذهب بعيدا متجاوزا حدود ما تتحملة معادلة الوحدة الوطنية، ما زاد الطين بلة ارتفاع شعارات العروبة مع سوريا مسايرة او مساومة او خضوعا، الامر الذي اطلق بدوره ردود فعل ترجمتها الشيخ بيار نفسه في لقاء بكفيا. ثم ترجمتها وقائع سلبية عدة اخرى ذهبت الى ابعد من ذلك حتى الى ما وراء الحدود. فكان الرد على الخطأ بخطأ مثله، حتى دفعنا جميعا الثمن الغالي جدا من امننا وسلامتنا ومن سيادتنا. فوق ذلك كله، فقدنا الرسالة التي تجسد

الهدف من مشروع البطريرك وبقيت الصيغة في مشروع الجنرال. وقد جاء اتفاق الطائف ليعيد الامور الى نصابها من جديد. فالمسيحيون عبّروا عن الثقة بالمسلمين بموافقتهم على تعديلات دستورية نقلت السلطة الى مجلس الوزراء مجتمعا، بعد ان كانت حصرية بيد رئيس الجمهورية. وعبّر المسلمون عن هذه الثقة ليس فقط بوقف العد السكاني، ولكن باقرار واقعي لاستمرار رئاسة الدولة لمسيحي ماروني كتقليد دستوري.

■ الا يكفي ذلك ليشكل حافزا لتعافي لبنان في مؤتيته الاولى؟ وهل من رسالة توحى بها؟

ما يتعلق بالادارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية. هذا ليس رأيا او موقفا او دفاعا عما يسمى الصيغة اللبنانية حسب سجلات سائدة، بل هو استنتاج اختباري ومقارن. الدستور اللبناني في نصه وروحته ليس طائفا، بل تم تطبيقه الى اقصى الحدود في الممارسة. يكتب ميشال شيحا عبارة طائفية بين مزدوجين.

اللبنانية والدولة في الادراك الجماعي. البديل المأساوي عن المنظومة الدستورية اللبنانية، وشرط دعمها دولنة الثقافة السياسية، ليس التقسيم ولا الفيدرالية ولا اللامركزية، بل قبائلية وزبائنية وهيمنات فئوية برعاية باب عال. النظام الدستوري اللبناني هو ثمرة اختبار تاريخي ونتاج عباقرة من منظور علمي ومقارن اليوم في

لبنانيين واجانب غرقوا في سجلات، من دون اختبار تطبيقي ومن دون مقارنة مقارنة، حول الطائفية والعلمانية وبسخرية حول الصيغة الفذة. كانت ثمرة هذا الاجترار بعد اكثر من نصف قرن: تبرير الاحتلال والتدخلات الخارجية، وبركة لسياسيين فاسدين ومخادعين لان السببية تعود الى النظام، وزعزعة شرعية المنظومة الدستورية

## السماك: ما قدمه لاجيالنا شمعة مضيئة اسمها لبنان الرسالة

الاسلامي العام كان اقرب الى التعاطف مع العمق العربي - المهزوم عسكريا - منه الى الاحتفال بولادة الدولة الجديدة. منذ ذلك الوقت، ارتفعت علامة الاستفهام حول الولاء للوطن الجديد. فالمسيحيون اقاموا صرح ولأهم على قاعدة صناعة الدولة على يد البطريرك الحويك، واقام المسلمون صرح معارضتهم على قاعدة ولادة الدولة على يد الجنرال غورو .

■ هل تخشى وجود ما يهدد مداميك لبنان الاساسية؟

□ حاولت معادلة بشارة الخوري - رياض الصلح الاستقلالية الجمع بين الصناعة والولادة في حركة استقلالية واحدة وجامعة، وكانت محاولة ناجحة. الا انها لم تتمكن من ازالة كل التحفظات التي تجمعت تحت سجادة الوحدة الوطنية من هنا وهناك. هكذا في كل مرة يواجه فيها لبنان مشكلة داخلية، كانت ترفع هذه السجادة وتتطاير من تحتها المزاعم والاتهامات التي تطعن بجديّة او حتى بصحة الولاء وسلامته.

■ هل ان ما حصل كان عابرا، ام اننا محكومون بلبنان الكبير والا الفوضى؟

□ بالتأكيد كان عابرا. اذكر لقاء بين الرئيس سليم الحص عندما كنت مستشارا

بداية ما الذي يعنيه الاستقلال الاول بعد المئوية الاولى، وهل نجحت هذه التجربة؟

□ ليس لبنان مجرد رقم زائد يضاف الى عدد الدول العربية، ولا حتى الى عدد دول العالم، لا في قيامه ولا في كيانه. منذ عام 1920 كان هناك تباين بين صناعة الدولة وبين ولادتها. صنع الدولة البطريرك الحويك في مؤتمر فرساي، ووقت الولادة على يد الجنرال غورو في قصر الصنوبر في بيروت. كان هدف الصانع شيء وكانت طموحات المولد شيء اخر. منذ ذلك الوقت بدأت الاشكالية، وهي مستمرة حتى اليوم. اراد البطريرك دولة متعددة الدين والمذهب تستظل بتاريخ طويل يمتد حتى العصر الفينيقي. واراد الجنرال دولة تترجم الهزيمة العربية في معركة ميسلون (ضاحية دمشق)، وقد عكس خطابه على درج قصر الصنوبر تلك الارادة .

■ هل ان صيغة لبنان الكبير لا تزال صامدة في ظل تصنيفك للمحطات العابرة في المئوية الاولى؟

□ في ذلك الوقت كانت قبعة الجنرال اكثر حضورا من قلنسوة البطريرك. لذلك كان موقف مسلمي لبنان من اعلان ولادة لبنان رفضا للقبعة ولما ترمز اليه، وليس للقلنسوة وما تمثله. الموقف السلبي

الجيل الذي قدمنا له الكثير من الاخطاء والقليل من الانجازات. لذلك فان قدر هذا الجيل ان يتعلم من اخطائنا اكثر مما يمكن ان يتعلمه من انجازاتنا. ومن هذه الاخطاء اننا لم نرتفع - او لعلنا لم نستطع ان نرتفع - الى مستوى لبنان الرسالة. ولم نعرف كيف نقدمها الى المجتمعات الشقيقة المتعددة. من هذه الانجازات، اننا عندما كنا نسقط في حفرة الصراع الداخلي كنا نتوقف عن استخدام الات الحفر التي يتبرع بها لنا الآخرون بكرم وسخاء. كنا نبادر ولو بقليل من الجرأة الادبية الى نقد الذات واعادة النظر في المواقف التي استدرجتنا الى الحفرة لنعود من جديد لارتكاب الخطأ مرة اخرى. من اجل ذلك استمر الصراع بين هدف البطريرك الحويك وحسابات الجنرال غورو، وهو صراع متواصل حتى الان .

■ ما هو اهم ما قدمه للاجيال الطالعة؟ □ بعد مئة عام، قد يكون اهم ما قدمه للمئة عام المقبلة شمعة مضيئة اسمها لبنان الرسالة.

### لبنان ليس مجرد رقم زائد في عدد الدول العربية ودول العالم

□ ما كان لهذه الروح الوطنية الانعاشية للوفاق الوطني ان تأخذ مداها في ظل الهيمنة السورية والسيطرة على عملية اتخاذ القرارات السيادية، ما اخر عملية التعافي الوطني. اليوم تترافق الذكرى المئوية لصناعة "لبنان الكبير" على يد البطريرك الكبير، مع الذكرى المئوية لولادة لبنان على ايدي جنرالات الطوائف من الغورويين المحليين والخارجيين. فلبنان الرسالة، كما وصفه البابا يوحنا بولس الثاني، لا يزال يتارجح في ثقافته العامة بين الاهداف الانسانية السامية للصناعة والغايات الاستغلالية للولادة. اما الرسالة فانها تبقى امانة مقدسة لدى الجيل الجديد من اللبنانيين.